

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[313] تشرع الآية في الكلام على علم ا فتقول: (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها هو). "مفتاح" جمع "مفتاح" (بكسر الميم وفتح التاء) وهو المفتاح، أمّا إذا كانت بفتح الميم فهي بمعنى الخزانة التي تختزن فيها الأشياء. وعلى الأوّل يكون المعنى: إنّ جميع مفاتيح الغيب بيد ا. وعلى الثّاني يكون المعنى: إنّ جميع خزائن الغيب بيد ا. ويحتمل أن يكون المعنيان قد اجتمعا في عبارة واحدة، وكما هو ثابت في علم الأصول، فإن استعمال لفظة واحدة لعدة معان لا مانع منه، وعلى كل حال فهاتان الكلمتان متلازمتان، لأنّه حيثما كانت الخزانة كان المفتاح. وأغلب الظن أنّ "مفتاح" بمعنى "مفاتيح" لا بمعنى "خزائن" لأنّ الهدف هو بيان علم ا، فتكون المفاتيح وسائل لمعرفة مختلف الذخائر وهو أنسب بالآية، وفي موضعين آخرين في القرآن ترد كلمة "مفتاح" بمعنى المفاتيح (1). ثمّ لتوكيد ذلك أكثر يقول: (ويعلم ما في البرّ والبحر). "البرّ" كل مكان واسع فسيح، وتطلق على اليابسة، "والبحر" كذلك تعني المحل الواسع الذي يتجمع فيه الماء، وتطلق على البحار والمحيطات وعلى الأنهر العظيمة أحياناً. فالقول بأنّ ا يعلم ما في البر والبحر، كناية عن إحاطته بكل شيء، وهذه الإحاطة بما في البرّ والبحر إنّما تمثل في الحقيقة جانباً من علمه الأوسع. فهو عالم بحركة آلاف الملايين من الكائنات الحية، الكبيرة والصغيرة، في أعماق البحار. وهو عالم بارتعاش أوراق الأشجار في كل غابة وجبل. وهو عالم بمسيرة كل برعمة وتفتح أوراقها. _____ 1 - (ما إنّ مفاتيحه لتنوء بالعصبة أُولي القوة) (القصص، 76) و(أو ما ملكتم مفاتيحه) (الذّور، 61).